بالمحافظة عليه ؟ » الكرمل « ... ترى وهي (نصرانية) انه كثير عليهـا وحطة بشأن المسلمين ان تحمل على اعيانهم وامرائهم حملاتها على من يبيعون البلاد من المسيحيين ، وترغب ترك هذه المهمة للمقتبس والمفيد والراي والائتلاف والحقيقة والعلماء والمفتين » .

حرص الوطنيون على ان يهدئوا من ثورة صاحب الكرمل ، لانهم كـانوا يعلقون عـلى دعوته آمالا كبيرة ، فكتب له (عزة دروزه) من نابلس « ... ما نصرانيتك بضائرتنا ، ولا كرملك بهين علينا ، وتا الله انك بنصرانيتك ، عند عارفيك من المسلمين لاعظـم من كثيرين ينتحلون الاسلامية ولا يرقبون فيها الا ولا ذمة ويتبجحون بالوطنية ولا يرعون لها عدلا ولا حقا ... » . وينكر دروزه على منتقدي الكرمل تعريضهم به « ... أن لو كان لهذا الرجل ان يغش في مبدئه ويخدع الناس في وطنيته لكان له مرتع اخصب ونفع اغزر ... والكـل يعرف ما يدره اولئـك ... على مروجي مقاصدهـم وعلى كـم افواه المغرضين ... » ، ويدعوه الى مواصلة رسالته « ... لاننا نريد منك ان تكون ـ كما نعرفك ـ قوي العزمات ، شديد الحمـلات ، ولاننا نعـرف ان ارباب المبادىء الذين يعرفون ما هي المبادىء لا يحيدون عنها الا ان يظفروا او يقضوا ... » .

هذه الوقفة القصيرة لم تمنع الكرمل من مثابرة عملها ، وانكبت من جديد الـى الدعوة للوقوف في وجه الخطر السياسي والاقتصادي للصهيونية مع تحميل ابناء البلاد أنفسهم هذه المهمة . وكانت خطته ان يلاحق الامور التي تجري في الخفاء ، ويشتم منها رائحـة الخطر ، لينشرها على صفحات الجريدة باحثا عن الحقيقة . لم يمتنع عن سؤال قائمقام الناصرة (امين عبـد الهادي) عن اسباب تغاضيه عن اعمـال البناء التي يقوم بهـا الصهيونيين في الفولة . حاول القائمقام في رده(٥٣)، ان يبين ان عمليـات البناء ليست سوى مزاود للماشية (اواخير) . وتشككت الكرمل بصحة ما يقول ، فكل المستعمرات التي بناها الصهيونيون بنوها تحت اسم اواخير . ويسخر في تعليقه « ... فنحن لسنا اولى منه بالمحافظة على شرف القوانين وبمقاومة الصهيونيين ... ولا نحن واهلنـا نستفيد اكثر منه ومن اهله من بقاء الوطن عثمانيا ، لاننا لا نخاف من استيلاء الصهيونيين لا على زعامتنا ولا على وظائفنا ومعاشنا ، بل اننا نغار على مصلحة الشعب وزعامته على الاخص »(٥٤) .

رافق دعوة التوعية ، دعوة بناءة لانهاض احوال البلاد . فدعت الكرمل(٥٥) الفلاح الى تحسين اساليبه . ومن أجل الوقوف امام خطر القادمين الجدد لم تخف اعجابها بما حققه هؤلاء ، ودعت المواطنين(٥٦) ان يروا في تدابير الصهيونيين الذين قاموا « لاحياء قوميتهم وجمع جامعتهم في بلادكم وعلى حسابكم ... خير مثال تقتدون ... » . ورأت ان تضع خطة للعمـل بانشاء جامعة وطنية لاصلاح الاحـوال الاجتماعية ورفـع شأن الزارع والعامل والصانـع ومراقبة التعليم الابتدائي والحكومـات والموظفين وجمعيات علمية وشركات زراعية وتجارية وصناعية . وفي ردها(٥٧) على رئيس بلدية طبريا حول امتياز تعمير حمامات طبريا (التي كان في نية الحكومة اعطاؤها للصهيونيين) قالت « ... لا نكتفي بتعطيلكم مشروع الصهيونيين بالحمامات ولكن نريد ان نراكم قائمين به ... اننا مللنا الوعود وصرنا نشتاق للاعمال » .

في هذا الوقت الذي تخلى فيه الفلسطينيون عن الامل بـان تحدث السلطات المحلية او الحكومة المركزية أي تغيير ملموس تجاه عملية التسرب الصهيوني المستمر ، وبدأوا في تلمس حلول ذاتية لم تتضح بعد ، وخاصة ان الرأي العربي في الخـارج كانت تشغلـه التطورات الحزبية الداخلية ، نشبت الحرب البلقانية في سبتمبر ١٩١٢(٥٨) . ورغـم ان مسرح احداثها كان بعيدا فقد كان لها نتائج غير مباشرة على تطور المسألة الصهيونية ، بسبب استغلال الحركة الصهيونية لظروف الدولة العثمانية المالية الحرجة للحصول على مكاسب وتنازلات جديدة . وقد لاحظ القنصل البريطاني في القدس(٥٩) « ... ان الفئة